

بين الحيلة والمكر والافتراس: صورة الذئب في الشعر الجاهلي دراسة لكيان متعدد الأوجه والأدوار- نماذج
مختارة من الشعر الجاهلي

**Between cunning and cunning and predation, the image of the wolf in ignorant poetry
is a study of a multifaceted entity and roles, Selected models of pre- Islamic poetry**

الدكتور ثائر محمد إبراهيم الملكاوي. محاضر في الجامعة الأردنية- مركز اللغات.

Name: Thaer mohammad ibrahim almalkawi

العنوان: المملكة الأردنية الهاشمية- عمان،. رقم الهاتف: 00962772088561

البريد الإلكتروني: Thaeralmalkawi555@gmail.com

الحساب على منصة أوركيد:

ORCID iD Link (<https://orcid.org/0009-0009-0349-9509>)

الدكتورة آمنة أحمد عبد الرحيم دقاسمة. جامعة اليرموك. المملكة الأردنية الهاشمية.

Name: Amneh Ahmad abdualraheem Dgamseh

رقم الهاتف: 00962772372719،. إيميل: amnehdagamseh845@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/06/08

تاريخ القبول: 2026/04/13

تاريخ الاستلام: 2026/03/06

ملخص:

تسعى الدراسة لاستكشاف رمزية الذئب في قصيدة الشاعر الجاهلي والتي كانت لأغراض متباينة، وفهم الأبعاد العميقة في استخدام الرمز الحيواني، على الرغم مما يمتلك الذئب من صفات سلبية كالافتراس والخبث والحيلة، لم ينظر الجاهلي للذئب نظرة سطحية سلبية، بل استعان بخصائصه؛ ليجسد أفكاره وأحاسيسه. ظهر للباحث في النتائج مقدرة وبراعة الشاعر الجاهلي على توظيف صورة الذئب بطرق شتى؛ لخدمة أغراضه الشعرية، فالشاعر ابن بيئته، وهي ملهمته الأولى، ومرآة ثقافته. اتخذ الشعراء من الذئب رمزا للمكر والافتراس والخديعة، ورمزا للقوة والشجاعة، ورمزا للحكمة والتدبر والدهاء، تسعى الدراسة وتهدف إلى فك شفرات ودلالات الذئب الرمزية وتناقضات الحياة، وتوظيف صورة الذئب نابع عن تجربة غنية، تمثل الحيوانات فيها جزءا لا يتجزأ من كينونة الإنسان في هذه الحياة القاسية، فلم يكن الشاعر الجاهلي مجرد ناقل لتجاربه الشخصية، بل كان مؤرخا وناقدا، ينقل لنا تطلعات مجتمعه وآماله من خلال الرموز الحياتية، مما يضفي طابعا إنسانيا علميا فلسفيا. الكلمات المفتاحية: الشعر الجاهلي، الإنسان والحيوان، صورة الذئب، الافتراس والحيلة، تناقضات الحياة.

Abstract:

In this study, the researcher seeks to explore the ignorant poet's use of the Wolf symbolism in his poem for various purposes, and to understand the deep dimensions that prompted the poet to use this animal symbol, despite the Wolf's negative qualities such as predation, malice and resourcefulness, the ignorant did not look at the wolf in a superficial negative way, but used its characteristics to embody his thoughts and feelings, showing in the study the ability and ingenuity of the ignorant poet in using the image of the wolf in various ways to serve his artistic and literary poetic purposes. The researcher seeks to decipher the symbolic codes and connotations of the Wolf and the contradictions of life, and that the use of the image of the Wolf stems from a rich experience.

Keywords: ignorant Poetry, Man and animal, wolf image, predation and resourcefulness, contradictions of life.

المؤلف المرسل: الدكتور ثائر محمد إبراهيم الملكاوي، والدكتورة آمنة أحمد عبد الرحيم دقاسمة.

1. مقدمة:

تناول الشعراء والأدباء الذئب في قصائدهم وحكاياتهم، وجاء ذكر الذئب في قصائد مطولة، وفي مقطعات صغيرة، وذكر الذئب في كثير من الحكايات والأمثال العربية القديمة، ومع أن الذئب من أشد الحيوانات افتراسا وخُبثًا، إلا أنه لاقى حظًا عند الشعراء الجاهليين، وقد قيل: إن "الذئب لا يعرف إلا الافتراس، وإذا افترس فإنه لا يفكر في العواقب" (الملاكوي، 2022، 92). إن توظيف الذئب في أعمال الأقدمين شعرا ونثرا مما يشغل الباحثين؛ إذ عُهد عن الشاعر العربي القديم بأنه يستمد شعره من البيئة المحيطة من حوله، فالبيئة ملهمة الشعراء، فقديمًا كانت علاقة الإنسان بالحيوان كبيرة جدًا، أكثر مما عليه الآن؛ لبساطة عيشهم، واعتمادهم الكبير على هذه الحيوانات في شتى مجالات حياتهم، وهذا كان سببًا رئيسًا لذكر الحيوانات في أشعارهم وحكاياتهم. وقد ذكر الشاعر الجاهلي: الناقة، والفرس، والغزال، والحرمل الوحشية، والطيور، والذئب، والثعالب، ...، وإن ذكر الشاعر للحيوان في قصيدته يعبر عن عمق العلاقة والشعور بها، حتى إنه كان يستشعر أدق تفاصيلها، وهو يرى في عالم الحيوان العالم المقابل لعالم الإنسان لقربه منه.

يشارك الحيوان مع الإنسان ببعض الصفات، فمنها الرحيم، ومنها القاسي، منها القوي، ومنها الضعيف، منها الظالم، ومنها المظلوم. وهذا يعبر عن ثنائيات يشترك فيها الإنسان مع الحيوان. ومما لا ريب فيه أن الشاعر لا يختار لفظة في قصيدته إلا ويقصدها لذاتها، فكان ذكر الذئب مقصودًا لذاته، ولم يكن مجرد صدفة من الشاعر، فهو يوجه شعره للمتلقى الذي يفهم كلامه ويتحسس. إذ إن البيئة وتضاريسها تؤثر في القارئ؛ من جبال، ووديان، وسهول، كما أنه يتفاعل مع الشاعر الذي يمزج شعره بالبيئة المحيطة به، فيجعلها ملهمته الأولى. وتجدر الإشارة إلى أن الشاعر الجاهلي "قدم نماذج عديدة لصورة الحيوان في قصائده الشعرية، حتى ارتبط اسم امرئ القيس بوصف الفرس، وطرفة بن العبد، ولبيد بن ربيعة العامري بوصف الناقة، والمثقب العبدى، وبشر بن أبي خازم بالثور الوحشي، وترددت صورة الكلاب، في شعر النابغة الذبياني، وبشر بن أبي خازم وغيرهم" (بدوي، 2020، 113). لقد شغلت صورة الذئب الشعراء، كما شغلت النقاد أيضًا، فجعلوا يتساءلون عن ذكر الذئب في مواضع معينة من القصيدة، وأخذوا يبحثون عن الدلالة الرمزية لهذا الحيوان المفترس في شعر الأقدمين، وأن الشاعر الجاهلي ما ذكر الذئب إلا ليمثل حالة معينة، وليشير للشبه بين الذئب ومن يقصده الشاعر بكلامه، ليرز صورة فنية جميلة بتشبيهاته التي يختزلها من الواقع.

تهدف هذه الدراسة إلى بيان الصور الفنية والدلالات التي تؤدّيها صورة الذئب ورمزيته في الشعر الجاهلي، وبيان قدرة الشاعر الجاهلي على التكيف مع البيئة المحيطة به، التي تعد ملهمة له في شعره. ذكر الذئب في أشعار الأقدمين لم يكن دلالة على الافتراس دائمًا. تكمن مشكلة الدراسة في ظاهرة توظيف صورة الذئب في الشعر الجاهلي، فضلًا عن أهمية كشف العلاقة القديمة بين الإنسان والحيوان، وبيان أن الشاعر بشكل عام والجاهلي بشكل خاص، يستمد ويستلهم شعره وصوره الفنية من البيئة المحيطة. فرضت طبيعة الدراسة على الباحث أن يوظف المنهج الوصفي التحليلي في دراسته، وسيستعين الباحث بغيره من المناهج إن دعت الحاجة، كالمناهج التاريخية كون الدراسة تتحدث عن العصر الجاهلي، والمنهج الاستقرائي الذي يسعى إلى تتبع بعض القصائد الجاهلية مجال البحث. تسعى الدراسة للإجابة عن بعض أسئلة البحث، منها: لماذا استخدم الشاعر الجاهلي رمزية الذئب في قصيدته، مع أن الذئب من السباع المفترسة؟ ما العلاقة بين الإنسان والحيوان ولماذا وظف الأدباء الحيوان في الشعر والنثر؟ ما الصور والدلالات الرمزية من ذكر الذئب في القصيدة الجاهلية؟ هل كان دائمًا ذكر الذئب في الشعر الجاهلي يدل على الافتراس، والمكر، والإضرار بالآخرين؟ هل استطاع الشاعر الجاهلي أن يصل لمبتغاه من ذكره للحيوان بشكل

عام، وللذئب على وجه الخصوص؟ واختياري لهذه النماذج لا يعني إغفال غيرها ممن تناول ذات الموضوع، فكان تناولها كنموذج لبيان نظرة كلية شمولية.

2. الإنسان والحيوان

1.2 علاقة الإنسان بالحيوان

تعد علاقة الإنسان بالحيوان علاقة أزلية أبدية منذ القدم، فالحيوان كان وما زال يعني كثيرا للإنسان، وخاصة للأديب والشاعر. فكان الجاهلي لا يسافر إلا على راحلته، فكانت الناقة مثلا ذات خصوصية في السفر، فهي الرفيقة في السفر، فتراها يحمل عليها متاعه ويركها، وإذا جاع شرب من لبنها، وكان الشاعر يبدأ قصيدته بمدح ناقته، ويصفها، ويتغزل بها، ثم ينتقل إلى مواضيع أخرى في قصيدته. ولقد كان الجاهلي يفخر بناقته ويعتز بها كثيرا، ويصفها بالصديقة والصاحبة، وهذا يؤكد عمق العلاقة بين الإنسان والحيوان، فكلمة الصاحب لا تطلق إلا على من بينك وبينه ودّ وعلاقة قوية، وإن القارئ ليجد تجارب كثيرة للشعراء في أسفارهم مع إبلهم خاصة، وكل منهم يتحدث عن سفره مع ناقته بطريقته، وكان الجاهلي دائما ما يبدي إعجابه وتقديره للناقة، فذكرها في قصائده، وصورها، ووصفها أوصافا دقيقة وجميلة، فهو يرى فيها صفات الكمال، وهي العون والصاحب في السفر. كما أن النصوص الشعرية تستوعب الحاجات النفسية والطاقة الإبداعية للشاعر (المرازيق، 2022، 231) (القيسي، 1970، 100).

2.2 دور الحيوانات في حياة العربي

لعبت الحيوانات دورا مهما في حياة العربي، ونرى ذلك قد انعكس إيجابا على حالته النفسية، والناظر في توظيف الحيوان في الأشعار والحكايات، يجدها ظاهرة مهمة بارزة متأصلة عند الأدباء والشعراء منذ القدم، وهذا واضح فيما وردنا من دواوين الشعر والحكايات، فالعلاقة قديمة قدم التاريخ. فقد شهِوا البشر بصفات بعض الحيوانات، وجعلوها رمزا خاصا حتى أيامنا هذه. ونجد أن كثيرا من الشعراء والأدباء جعل ذكر الحيوان في طردياته ومغامراته، كالخيل، والصقر، والكلاب، والفهود، وما يتم صيده. ونرى منهم من وقف على أصنافها الأليفة منها والمتوحشة، وتجاوزوا ذلك وتحدثوا عما هبّ ودبّ (شكر، 1985، 7). ولقد كانت العلاقة مع الحيوان في العصور السابقة أكثر قوة، وأكثر قربا من الإنسان؛ لأن الحاجة لها كانت أكثر، وهذا يعود لطبيعة الحياة الصحراوية القاسية، فما من شيء في حياة الإنسان إلا ويدخل الحيوان فيه؛ في طعامه، وشرابه، وفي السقاية والورود على الماء، وفي الزراعة، والحراثة، والصناعة، وفي الحروب، والغزوات. ويعد الحيوان أيضا من وسائل النقل في السفر، ولذلك فإننا نجد الإنسان القديم قد أكثر في كتاباته ونقوشه من ذكر الحيوان، بل إنه صور تلك الحيوانات من الإبل والخيول وغيرها على شكل تماثيل.

3.2 الحيوان مضربا للمثل

لقد أصبح الحيوان مضربا للمثل عند الإنسان، فكثير من الأمثال لها ارتباط وثيق بالحيوان، فإذا أراد مدح أحد بأنه قوي وشجاع، وأنه فارس مقدم، شبهه بالأسد، فيقال: فلان كالأسد. ويقال: فلانة كالغزالة أو كالظبية؛ أي شديدة الجمال. ويقال: فلان كالحمامة، أو كالحمل الوديع؛ كناية عن أنه مسالم ولا يحب العنف. ويقال: عيون فلان كعيون الصقر؛ أي أنه يتمتع ببصر حاد قوي. ويقال: فلان أحقد من جمل؛ فالجمل حقود لا ينسى من يؤذيه، فتراها يترصد ويتربص لمن يؤذيه، وينقضّ عليه في الوقت المناسب. ويقال: فلان كالثعلب؛ أي أنه مخادع وماكر. ويقال: فلان كالفيل؛ أي أنه ضخيم كبير. ويقال: فلان كالذئب أو كالضبع؛ كناية عن الظلم، والوحشة، والطغيان، والتكبر. ويقال: فلان كالبوم، أو كالغراب لا ينطق إلا بشر. ويقال: فلان يتنمر على فلان؛ أي أنه يسيء إليه ويؤذيه، سواء

بالكلام أم بالفعل، فالتنمر سلوك يدل عن العدوانية، وتجاوز الحد مع الآخرين. ويقال: فلان كالأرنب؛ كناية عن جبنه وخوفه. ويقال: فلان كالأفعى، لا يُعرف له بطن من ظهر؛ أي لا يُؤمن جانبه فهو متعدد الوجوه. ويقال: فلان كالسحفاة؛ أي أنه بطيء في كل شيء. وبعض الناس يستخدم أسماء حيوانات فيصف فيها أحدا لإهانته والتقليل من شأنه: كالحمار، أو الكلب، أو القرد وغير ذلك، على الرغم من أن هذه الحيوانات لديها من الوفاء للإنسان شيئا كثيرا. وغير ذلك كثير من أسماء الحيوانات المستخدمة في حياة الإنسان، هذا إن دل يدل على العلاقة القوية بين الإنسان والحيوان (المكاوي، 2022، 90-92).

4.2 الذئب مدار الدراسة

أما عن الذئب مدار الدراسة: فالذئب حيوان مفترس، ويلقب بكلب البرّ، والجمع منه ذئاب، وأذؤب، وذؤبان، وأنثاه ذئبة، وله أسماء كثيرة وأوصاف يسمى بها، ومنها: "الأطلس، والأمروط، وأؤس، وأؤيس، والخاطف، والسَّمْلَع، والعَسْلَق، والعِلْوَش، والعَمَلَس، والتهَلَش، واللَّعَوَس"، وله كنى عديدة يكنى بها، ومنها أنه يكنى: "بأبي ثمامة، وبأبي جاعد، وبأبي كاسب"، والأنثى منه جَهِيزَة، والمسترحمة. وجاء ذكره في القرآن الكريم، فقد ذكر في سورة يوسف، إذ اتهم إخوة يوسف عليه السلام الذئب بأكل أخيم، ولكنه كان من ذلك براء، وجاء في أمثال العرب: "أبرُّ من الذئبة"، مع أن الذئب مفترس، لكن أنثاه إذا ولدت لازمت صغارها، ولم تتركهم أبدا حتى يعتمدوا على أنفسهم (العسكري، 1964، 243). ويقال: "أحذر من ذئب"؛ فالذئب حريصٌ وحذر جدا، ومن شدة حذره ورد عنه أنه إذا نام جعل أحد عينيه نائمة مطبقة، والأخرى تركها مفتوحة حارسه له. وهو بخلاف الأرنب، إذ يقال: إن الأرنب ينام مفتوح العينين، خلقه لا خوفا من عدو (العسكري، 1964، 227). ويقال: "أخول من الذئب"؛ فالذئب محتال، يقال: تحوّل الرجل إذا كان محتالا (العسكري، 1964، 401). وقيل: "من استرعى الذئب ظلم"؛ وهو مثل يضرب لمن يجعل الأمانة في غير أهلها، فُيستأمن الخائن، في حين يترك الأمين (العسكري، 1964، 265). وقد قال أبو القاسم الراوي (النيسابوري، 1961، 345). (الثعالبي، 1961، 465):

وَإِذَا الذِّئَابُ اسْتَنْعَجَتْ لَكَ مَرَّةً فَحَذَارِ مِنْهَا أَنْ تَعُودَ ذِنَابًا
فَالذِّئْبُ أَحَبُّ مَا يَكُونُ إِذَا بَدَأَ مُتَلَبِّسًا بَيْنَ النَّعَاجِ إِهَابًا
وقيل (الثعالبي، 1961، 352):

أَصَاحَ مَتَى رَأَيْتَ الذِّئْبَ بَ مَأْمُونًا عَلَى الْغَنَمِ
تَعُدُّوا الذِّئَابَ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَنَقِّي نَرِيضَ الْمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي (الثعالبي، 1961، 352).
الذِّئْبُ لَا يُؤْمَنُ لِكِنَّهُ عَلَيْهِ فِي يُوسُفَ مَكْدُوبٌ (الثعالبي، 1961، 465).
وَلَسْتُ عَمَّنْ يَرْضَى بِمَا دُونَهُ الرِّضَى وَيَمْسَحُ وَجْهَ الذِّئْبِ وَالذِّئْبُ أَكْلُهُ (الثعالبي، 1961، 352، 465).

الذئب من أشد الحيوانات فتكا وافتراسا، يتمتع بنظر ثاقب، وخبث شديد، وله رمزية خاصة في الأدب العربي شعرا ونثرا. إذ يعد رمزا لليقظة والبطش الشديد، ومن رمزية الذئب في الشعر والنثر نستنتج أن أحداث العمل الأدبي دارت في غابة، أو في صحراء، أو في منطقة خالية؛ فالذئب لا يسكن المدن ولا بين الناس، والذئاب حيوانات تعتدي وتغير على غيرها دون أدنى رحمة، ومن غير وجه حق، تغير على الإنسان والحيوان. والذئب "يتحين الفرص جيدا لِيَنْقَضَ على الآخرين. حتى قيل: لا يتورع عن الفتك ببني جنسه من الذئاب، وهو حيوان يحب رائحة الدم، وهو يعوي مع قطيعه، ليدل الآخرين أن هذه المنطقة منطقة نفوذ للذئاب فلا تقربوها، والذئب يعيث فسادا في الأرض" (المكاوي، 2022، 133، 134).

3. صور الذئب في القصيدة الجاهلية، الشعراء الذين فنّوا قبل الهجرة

لا بد من الإشارة قبل الولوج إلى صورة الذئب المتكررة في الشعر الجاهلي إلى أن كثيرا من الشعراء الجاهليين أغرقوا أشعارهم بالرموز، وكان الشاعر الجاهلي يستخدم الرموز في شعره "قاصداً ذلك بأسلوب إيحائي ليلفت إليه المتلقي، أو لمهرب ويتجنب المساءلة، وبنفس الوقت فإنه يُخرج المتلقي من حالتي الملل والرتابة التي يمكن أن تحيط به، إما لطول النص، وإما بسبب ظروف خاصة مؤثرة من حوله لم يفصح عنها" (صليحة، 1987، 213) (الملكاوي، 2022، 58).

ذكر الشاعر الحيوانات والطيور في شعره لتكون أبلغ في الحجة، وأكمل للدلالة، "وظهر القناع في اللغة بظهور الإنسان نفسه؛ ذلك لأنه يعد وسيلة من وسائل الحياة التواصلية" (الملكاوي، 2022، 2) (اليحيى، 2022، 52). ويعد الرمز ومنه استخدام رمز الذئب من التقنيات التي يستخدمها الشعراء والأدباء بشكل عام، والمقصود بالتقنيات كما عرفت الباحثة نهاد صليحة بقولها: هي كل ما يستخدمه الكاتب أو السارد من الوسائل والحيل الفنية، ليكشف عما في داخله، قاصداً ذلك بأسلوب إيحائي ليلفت إليه المتلقي، أو لمهرب ويتجنب المساءلة، وبنفس الوقت يُخرج المتلقي من حالتي الملل والرتابة التي يمكن أن تحيط به، إما لطول النص، وإما بسبب ظروف خاصة مؤثرة من حوله (صليحة، 1987، 213) (حجاج، 2023) ومن أمثلة ذلك:

1.3 صورة الذئب عند امرئ القيس (ت 85 ق.هـ)

يرسم امرؤ القيس لنا مشهداً حوارياً، فيجعل الذئب محاوراً له، ونجد أن أبياته ضمت تقنيات كثيرة، من أهمها: الإسقاط والتشخيص؛ فالإسقاط: أنه أسقط حالته النفسية على الذئب، فيبدولنا أن امرؤ القيس يعاني من حالة الغربة، وحالة الجفاء، ويشعر بأنه بلا أهل وقبيلة تسنده، وذلك في قوله: "يا ذئبُ هلْ لك في أخٍ /// يُواسي...، أما الجزئية الثانية وهي التشخيص: فهي عندما حاور الذئب وحول الذئب المفترس إلى مخاطبٍ يتبادل معه الحوار، فينشد على البحر الطويل (إبراهيم، 2008، 253):

وماءٌ كَلَوْنِ الْبَوْلِ قَدْ عَادَ أَجْنًا قَلِيلٌ بِهِ الْأَصْوَاتُ فِي كَلٍّ مَحْلٍ
لَقَيْتُ عَلَيْهِ الذَّئْبُ يَغْوِي كَأَنَّهُ خَلِيعٌ خَلَا مِنْ كُلِّ مَالٍ وَمِنْ أَهْلِ
فَقُلْتُ لَهُ يَا ذَنْبُ هَلْ لَكَ فِي أَخٍ يُوَاسِي بِلَا أُثْرَى عَلَيْكَ وَلَا بُخْلِ
فَقَالَ هَذَاكَ اللَّهُ إِنَّكَ إِنَّمَا دَعَوْتَ لِمَا لَمْ يَأْتِهِ سَبْعُ قَبْلِي
فَلَسْتُ بِأَتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ وَلَاكِ اسْقِيْنِي إِنْ كَانَ مَأْوُكَ ذَا فَضْلِ
فَقُلْتُ عَلَيْكَ الْحَوْضُ إِنِّي تَرَكْتُهُ وَفِي صَفْوِهِ فَضْلُ الْقُلُوصِ مِنَ السَّجْلِ
فَطَرَبَ يَسْتَعْوِي ذَنَابًا كَثِيرَةً وَعَدَيْتُ كُلَّ مَنْ هَوَاهُ عَلَى شُغْلِ

نلاحظ من خلال الحوارية التي أجراها الشاعر مع الذئب كيف جعل منه معالجا نفسيا لما يشعر به، ويتضح لنا إسقاط امرؤ القيس حالته النفسية العاطفية من شعور بالجفاء، وحالة الغربة، واللاسند على الذئب. لقد كان موفقا في استخدامه أسلوب التشخيص؛ إذ جعل الذئب إنسانا عاقلا، ومستشارا قادرا على تبادل الحوار معه، وجعل منه واعظا يقدم الوعظ والنصح، وكأن الذئب خاض تجربة مع الحياة، فعانى مما عانى منه امرؤ القيس من فقد الأهل والأصحاب، فطفق هذا الذئب يعطي عصارة وخلاصة تجربته الشخصية للشاعر.

يرسم امرؤ القيس لنا لوحة جميلة وهو في وسط الصحراء مسافرا، في مكان مجذب، خال من الحسيس والأنيس، فلا صوت يستأنس به إلا صوت الذئب في الليل، ويحول هذه اللوحة إلى حوار يدور بينه وبين الذئب، فيجد ذئبا كثير العواء، يطوف على الحوض من شدة ما أدركه من العطش، وهنا يستخدم الشاعر براعته في

التصوير، ويصور حديثا يدور بينه وبين الذئب. فبدلاً من أن يخاف امرؤ القيس من الذئب نراه يعرض عليه أن يكونا صديقين، بل يتجاوز الصداقة إلى علاقة أكبر وهي الأخوة، في قوله: "يا ذئبُ هلْ لك في أخٍ". فيستغرب الذئب هذا العرض من امرئ القيس، وهو أمر مستنكر لما عُهد من عداوة الذئب للإنسان وبطشه بالحيوان، ويتجلى ذلك في قوله: "دَعَوْتَ لِمَا لَمْ يَأْتِهِ سَبْعُ قَبْلِي". بمعنى إن هذه الدعوة لم يدع بها أحد قبلك، ولم يُعهد على ذئب صحبة الإنسان، لكن الذئب يطلب أقل من ذلك بكثير، يطلب شربة ماء يطفئ بها لهيب عطشه، فيدله امرؤ القيس على بقية دلو الماء، فيفرح الذئب بهذا الماء. ومن محبة الذئب لقومه لم يشرب لوحده، بل نادى على إخوانه الذئاب ليشرَبوا معه، ثم ينتهي المشهد بهذه الصورة التي قدمها الشاعر، وينصحه الذئب نصيحة بأن يتقي شر الذئاب، فلا يمكن أن يكون الذئب صديقاً للإنسان. ولقد "شاعت في الأدب العالمي قديمه وحديثه فكرة محاورة الحيوان، أو تحول الإنسان إلى حيوان" (الدغيري، 2014، 157) (العنزي، 2023، 256).

2.3 صورة الذئب عند المرقش الأكبر (ت 75 ق.هـ)

ينشد المرقش الأكبر على البحر الطويل قائلاً (صادر، 1985، 84) (إسماعيل، 1979، 83):

وَلَمَّا أَضْأْنَا النَّارَ عِنْدَ شِوَانِنَا عَرَانَا عَلَيْهَا أَطْلَسُ اللَّوْنِ بِإِسْ
نَبَذْتُ إِلَيْهِ حُرَّةً مِنْ شِوَانِنَا حَيَاءً وَمَا فُحْشِي عَلَى مَنْ أَجَالِسُ
فَتَاضَ بِهَا جَذْلَانِ يَنْفُضُ رَأْسَهُ كَمَا أَبَ بِالنَّهْبِ الْكَمِيُّ الْمُحَالِسُ
وَأَعْرَضَ أَغْلَامٌ كَأَنَّ رُؤُوسَهَا رُؤُوسُ جِبَالٍ فِي خَلِيجِ تَغَامَسُ

تذكرنا هذه الأبيات من المرقش الأكبر بصورة الذئب عند امرئ القيس، فهو يصور لنا صورته مع قومه، فقد أشعلوا نارا للشواء، فلما أوقدوا النار ووضعوا عليها الشواء تجمعت الذئاب من حولهم لما اشتهت رائحة شوائهم، وقد وصف المرقش الأكبر الذئب بالأطلس؛ أي أن لونه رمادي يشبه لون التربة، وأن هذا اللون إنما جاء من شدة الجوع. فيقول المرقش: إنهم ألقوا إليه قطعة من لحم الشواء، وحجته في ذلك أنه عزَّ عليه أن يأكل الطعام والذئب يدور من حوله يتلوى من الجوع، ثم يذكر صورة أخرى في نهاية الأبيات أن هذا الذئب أضحى سعيداً بما ألقى إليه من اللحم، فالذئب سعد بالطعام الذي حصل عليه كما يفرح الفارس المغوار عندما يعود من المعركة فائزاً منتصراً حاملاً معه الغنائم، وتتجلى في هذه الأبيات مشاعر وأحاسيس المرقش تجاه هذه الحيوانات، فهو بالرغم من افتراسها وطبيعتها، إلا أنه يشعر بها؛ لأنها كائنات حية، تجوع، وتعطش، وتتألم، ...، كالإنسان تماماً، وما عطف عليها إلا لما رأى ضعفها.

3.3 صورة الذئب عند الشنفرى الأزدي (ت 70 ق.هـ)

بانتقالنا للشنفرى الأزدي نراه يأخذ موقفاً محايداً من الذئب، ويصور لنا صورة من البيئة المحيطة، فالذئب ليس كعادته في الافتراس، بل هو مشغول بتأمين طعامه وشرابه، وموقفه محايد من الإنسان، فالذئب جانب كل الأعداء لانشغاله بما هو أهم بالنسبة له، فبعد أن يؤمن طعامه وشرابه لا بد من تأمين باقي القطيع من الذئاب، فرفاقه من الذئاب بلغوا من الجوع مبلغاً عظيماً، حتى رقت جلودهم، ووهنت عظامهم، وغارت العيون في الرؤوس، فينشد على البحر الطويل (يعقوب، 2008، 85) (العكبري، 1403، 10):

وَأَعْدُو عَلَى الْقَوْتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهِ التَّنَائِفُ، أَطْحَلُ
غَدَا طَاوِيَا، يِعَارِضُ الرِّيحَ، هَافِيَا يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشَّعَابِ، وَيَغْسِلُ
فَلَمَّا لَوَاهُ الْقَوْتُ مِنْ حَيْثُ أَمَّهُ دَعَا؛ فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُنْحَلُ
مُهْلَهْلَةً، شَيْبُ الْوَجْهِ، كَأَنهَا قِدَاحُ بِكَفَيٍّ يَاسِرٍ، تَتَقَلَّقُلُ

يتجلى في هذه الأبيات تعاطف الشنفرى مع الحيوانات، إذ يعد الذئب رمزا لحياة قومه الصعاليك، فالذئاب في الأبيات هزيلة، ضعيفة، جوعى، وكأنه يريد القول: إن الذئاب تخلت عن غريزتها في الافتراس وشاركتهم قسوة الحياة؛ من شدة وصعوبة ما يعانیه قومه الصعاليك، والتي عبر عنها بالجوع والتعب والهزال. والشاعر أيضا يُصر على تمسكه وتعاطفه مع الذئاب؛ لأن الطبيعة في الصحراء كانت قاسية عليهم. وهي تشترك معه "بأن حياته وحياة الذئاب العاوية، إنما هو موضوع صراع من أجل البقاء" (علاوة، 2018، 85). وفي موضع آخر ينشد الشنفرى على البحر الطويل (يعقوب، 2008، 87) (إسماعيل، 1979، 83):

وَفِي الْأَرْضِ مَنَآىَ لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقِلَى مُتَعَرِّلاً
لَعَمْرُكَ مَا فِي الْأَرْضِ ضَيْقٌ عَلَى إِمْرِي سَرَى رَاغِباً أَوْ رَاهِباً وَهُوَ يَعْقِلُ
وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سَيِّدٌ عَمَلَسَ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جِبَالُ
هُمُ الرِّهْطُ لَا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُخَذَلُ

يعلن الشاعر في الأبيات السابقة قطيعته مع الناس "لما لحقه من ظلم، وانضم إلى عالم الحيوان الذي وجد فيه ضالته، وهذا تبرير كاف ما دام الشنفرى راض كل الرضا عن هذه العائلة الجديدة" (يعقوب، 2008، 85). فيصور لنا الشنفرى نفسه بأنها شبيهة بالذئب الذي ينتقل من مكان إلى مكان بين الصحاري والقفار؛ باحثاً عن ماء يطفى عطشه، وعن طعام يسد جوعه، فلا يجد الذئب طعاماً ولا شرباً، فما يبقى أمامه إلا العواء الذي يسلي به نفسه، فتسمعه الذئاب التي تعاني مما يعانیه من الجوع والعطش، فتأوي إليه لتشاركه العواء، فالشاعر هنا يحسد ذلك الذئب؛ لأن له جماعة تشاركه آلامه وأوجاعه، بينما الشاعر لا يجد من يشاركه آلامه، فهو هنا يتمنى حياة كحياة الذئاب في وفائها لبني جنسها. يدفعنا هذا للتفكير في ثنائيتين متضادتين عند الشنفرى لصورة الذئب؛ فالأولى: الصورة الحقيقية الواقعية؛ الخبث، والمكر، والدهاء، والافتراس، ...، وغير ذلك. والأخرى: الرمزية أو الدلالية التي تحمل عمقا إيحائياً؛ وهي صورة الأليفة للذئب، والتي رمز بها الشنفرى للدلالة على الحرية والعدالة، والتي يسعى من خلالها للوصول إلى القيم الإنسانية النبيلة. هاتان الثنائيتان جاءتا نتيجة التناقض، والتقلب، والتغير السريع، في الواقع العربي؛ بسبب اختلال كثير من العادات والتقاليد والأعراف التي تشكل جزءاً من شخصية العربي (مبروك، 2019، 45). ثم يسهب الشنفرى في وصفه للذئب، ويستطرد في طرحه للموضوع، فهو يمثل حالته وحالة قومه، فيقول (يعقوب، 2008، 65):

مُهَرَّتَةٌ فُوهُ كَأَنَّ شُدُوقَهَا شُفُوقُ الْعِصِيِّ كَالِحَاتٌ وَبُسْلُ
فَضَجَّ وَضَجَّتْ بِالْبَرَّاحِ كَأَنَّهَا وَإِيَاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلَيَاءِ تُكَلَّ
وَأَغْضَى وَأَغْضَتْ وَأَتَسَّى وَأَتَسَّتْ بِهِ مَرَامِيلُ عَزَّاهَا وَعَزَّتْهُ مُرْمِلُ
شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْغَوَى بَعْدُ وَارْغَوَتْ وَلِلصَّبْرِ إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشُّكُوْ أَجْمَلُ

يستغل الشنفرى هذه الأبيات "ليصف أقرانه من الشعراء الصعاليك الذين اشتد بهم الجوع، والبحث عن الطعام في الأودية والوديات العميقة، في دهايز الجبال الوعرة" (مبروك، 2019، 54). ثم يقول الشاعر: "مُهَرَّتَةٌ فُوهُ"، بمعنى أنها فاتحة شدوقها؛ أي أفواهها من شدة الجوع، إلا أن هذا الذئب كان حنوناً ورفيقاً بإخوانه أكثر من رفق بعض البشر ببعض، وكان حريصاً على إطعام إخوانه الذئاب، لكنه لم يفلح بإيجاد الطعام، وقد تجمعت حوله الذئاب متضجرة جوعاً، فعوى ذلك الذئب فرحاً بإخوانه من حوله، فعوت الذئاب فوق تلة عالية، وكأنها نساء ثكلى فقدت ولداً عزيزاً لها. فلما جاءت الذئاب فرحة لتشاركه الطعام لم تجد شيئاً لتأكله، فأخذ يشكو لها وتشكو له الجوع، والحزن، والكآبة، وأخذ كل واحد منهم يواسي الآخر، وعرفوا أنها شكوى لا فائدة منها، وأن

الصبر أفضل من الشكوى، ولما دخل اليأس نفوسهم من الحصول على الطعام عادت إلى أوكارها تجر أذيال الخيبة والحسرة. ومع هذه الحياة القاسية إلا أن الشنفرى يفضلها على حياة العبودية والذل والاستبداد، فهو يرفض "الممارسات القبلية السلطوية، رافضا العيش معهم، معتزما الرحيل عن هذه الديار، مخالفا أعراف القصيدة القديمة في مطلعها، فبدلا من البداية بالوقوف على الطلل كما يفعل الشعراء القدماء، بدأ بالأبيات التي يعبر فيها عن هجره لسلطة القبيلة، وأعرافها، واستبدادها" (مبروك، 2019، 55).

4.3 صورة الذئب عند النابغة الذبياني (ت 18 ق. هـ)

ينشد النابغة الذبياني على البحر البسيط في وصف صورة الذئب، فيقول (الذبياني، 1985، 51):

ومهمه نازح تعوي الذئب به نائي المياه عن الوُزَادِ مقفارِ
جاوَزَتْهُ بَعْلَنْدَاةٌ مناقِلَةٌ وعَرَ الطريقِ على الإحزانِ مضمارِ

يصور النابغة الذبياني الذئب وهي تعوي في الوادي القفر، وهو يقترب بهذه الصورة مع صورة امرئ القيس؛ إذ يصور الذئب عطشى باحثا عن الماء ويعسر عليها إيجاده، فالشاعر يظهر شجاعته وفروسيته بعبوره الوادي المليء بالذئب، ويتعاطف معها، ومع أنها مفترسة، إلا أنها تحمل الوفاء لبعضها، ذلك الوفاء الذي فقد عند كثير من البشر.

وفي بيت ينسب إلى النابغة الذبياني، وبعضهم ينسبه لغيره (الشنقيطي، 1985، 65).

تَعْدُو الذِّئَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِي مَرِيضَ الْمُسْتَنْفِرِ الحامي

وورد أيضا بلفظ:

تَعْدُو الذِّئَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِي صَوْلَةَ الْمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي

ينسب هذا البيت للنابغة وينسب لغيره، وبعضهم نسب هذا البيت لامرأة لم يذكر اسمها. في هذا البيت قصة طريفة، يروى أن امرأة ذهبت لأداء فريضة الحج في مكة المكرمة، فتعرض لها عمر بن أبي ربيعة في المناسك عند رمي الجمرات؛ لما رأى من جمالها الساحر، فأخذ يتعرض لها ويتغزل بها، فصاحت به قائلة: إليك عني، إننا في حرم الله، وأؤدي فريضة الحج، فكلما عمر فلم تجبه. فانصرفت، ثم عادت في اليوم التالي لترمي الجمرة الثانية، فتعرض لها عمر مرة ثانية. فقالت له: إليك عني، إني في حرم الله، ولما ألحَّ عليها عمر في الطلب خافت أن يراها أحد وينشر خبرها بين الناس فَتُفْتَضَحَ في أمر هي بريئة منه. وفي اليوم الثالث عندما جاءت لترمي الجمرة الثالثة كان ينتظرها عمر، لكنها في هذه المرة كانت قد استنجدت بأخيها أن يذهب لمرافقتها لمكان رمي الجمرات، ولم تخبر أخاها بخبر عمر، فلما رآها عمر مع أخيها هابه ذلك الموقف، وخاف من أخيها، ولبت في مكانه ولم يتعرض لها، فأنشدت البيت السابق. والله أعلم بصحة نسبة هذا البيت.

5.3 صورة الذئب عند ابن عنقاء الفزاري (ت 2 ق. هـ)

يصور لنا ابن عنقاء الفزاري صورة ذئب في الصحراء، يتنقل من مكان إلى مكان باحثا عن الطعام والشراب، فلا يجد ما يقتات عليه، فينشد على البحر الطويل قائلا (الوطواط، 1981، 35):

وَأَعَوَجَ مِنْ آلِ الصَّرِيحِ كَأَنَّهُ بِذِي الشَّيْ سَيْدُ آخِرِ اللَّيْلِ جَائِعُ
بَغَى كَسْبَهُ أَطْرَافَ لَيْلٍ كَأَنَّهُ وَلَيْسَ بِهِ ظَلْعٌ مِنَ الْخَمَصِ ظَالِعُ
فَلَمَّا أَبَاهُ الرِّزْقُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ جُنُوبَ الْمَلَا وَأَيَّاسَتَهُ الْمَطَالِعُ
طَوَى نَفْسَهُ طَيِّ الْحَرِيرِ كَأَنَّهُ حَوَى حَيَّةً فِي رَبْوَةٍ وَهُوَ جَائِعُ

يصور لنا ابن عنقاء الذئب وهو في حالة ضعف شديد، طاوي البطن من الجوع، وقد أخذ منه الهزال موضعاً، وقد خارت قواه، يتنقل في ساعات متأخرة باحثاً عن كسبه في الليل والناس نيام. وكأن هذا الذئب لا يريد أن يراه إنسان في حالة الضعف التي هو فيها، وبنفس الوقت لا يريد أن تهتز صورة الذئب بشكل عام لا أمام الإنسان ولا الحيوان. ولكن شاعرنا أخذ يراقبه خلصة، فرآه يتمايل في مشيته من العرج، والشاعر يدرك أن هذا العرج ليس عرجاً حقيقياً، وإنما بسبب ما يعانيه من الضعف والجوع. ثم يقول الشاعر: "فَلَمَّا أَبَاهُ الرِّزْقُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ؛ أَي فلما طاف ليلاً ولم يجد رزقاً أدرك من سوء حظه أَنَّ الرزق يرفضه؛ فلا يأتيه بالرغم من سعيه إليه. فلما يأس من تأمين رزقه نام فوق ربوة عالية، وقد التفت حول نفسه كما تلتف الأفعى حول نفسها، والتفافه حول نفسه لسببين؛ الأول: شدة الجوع، والسبب الآخر: البرد الذي تسلل إلى عظامه. ثم يرسم لنا صورة أخرى للذئب عندما أصبح الصباح، فيقول (الوطواط، 1981، 35، 36):

فَلَمَّا أَصَابَتْ مَتْنَهُ الشَّمْسُ حَكَّهُ بِأَعْصَلٍ فِي جُذُمُورِهِ السَّمَّ نَاقِعُ
وَقَامَ فَأَقْعَى قَاعِدًا يُقْسِمُ الْمُنَى رَجَاءً وَمَطَى صُلْبَهُ وَهُوَ قَابِعُ
وَفَكَكَ لِحْيَيْهِ فَلَمَّا تَعَادِيَا صَاى ثُمَّ وَلَّى وَالْبِلَادُ بِلَاقِعُ
وَهَمَّ بِأَمْرٍ ثُمَّ أَرْمَعَ غَيْرَهُ وَإِنْ ضَاقَ رِزْقٌ مَرَّةً فَهُوَ وَاسِعُ
وَعَارِضَ أَطْرَافِ الصَّبَا فَكَأَنَّهُ حُبَابُ غَدِيرِ هَزَّةِ الرِّيحِ رَاجِعُ

يشير ابن عنقاء الفزاري إلى أن الذئب نام خائب أمله بالحصول على الرزق، فلما أصبح الصباح لم يستيقظ إلا على حر الشمس مما يعانيه من الضعف والهزال، وعندما استيقظ أخذ يحك ظهره بأنيابه. ثم "أقعى" بمعنى جلس على قفاه أو مقلعته كما تقعد الذئب عند العواء، وأخذ يعوي عواء حاداً لم يعوي مثله من قبل؛ ليعبر عما يعانيه من الآلام، ثم أخذ يركض صباحاً يسابق ربح الصبا، متفائلاً بالصباح الجديد أن يجد ما يسد به جوعه. وهذا الذئب يدرك أنه "وإن ضاق رزقٌ مرةً فهو واسعٌ"، فالشاعر ينقل لنا صورة من الطبيعة، تمر بها كل الحيوانات وليس الذئب فحسب، ولكنه يريد الإشارة إلى أن هذا يدرك الحيوان القوي، الكاسر، المفترس، فما بالك بالحيوان الضعيف. ويختم بصورة تشبيهية رائعة، بأن مشية الذئب بالرغم من تفاؤله باليوم الجديد إلا أن ركضته ومشيته أيضاً كانت مضطربة كـ "حباب الماء"، وهي فقاعات الماء التي تطيش على وجه الماء عندما تحركها الريح.

4. الشعراء الذين فنوا بعد الهجرة

1.4 صورة الذئب عند أبي كبير الهذلي (ت 10هـ)

بانتقالنا لأبي كبير الهذلي نجده يصور لوحة جميلة في الذئب، شأنه شأن غيره من الشعراء، فيقول (الزين،

1965، 104، 106):

لَقَدْ وَرَدَتِ الْمَاءَ لَمْ يَشْرَبْ بِهِ بَيْنَ الرَّبِيعِ إِلَى شَهْرِ الصَّيْفِ
إِلَّا عَوَاسِلُ كَالْمِرَاطِ مَعِيدَةٌ بِاللَّيْلِ مَوْرِدٌ أَيْمٌ مُتَغَضِّفُ
يَنْسَلْنَ فِي طُرُقٍ سَبَّاسِبَ حَوْلُهُ كَقِدَاحِ نَبْلِ مُحَرِّرٍ لَمْ تُرْصَفِ
تَعْوِي الذَّنَابُ مِنَ الْمَجَاعَةِ حَوْلُهُ إِهْلَالِ رَكَبِ الْيَاثِمِ الْمُتَطَوِّفِ
رَقَبٌ يَظَلُّ الذَّنْبُ يَتَبَعُ ظِلَّهُ مِنْ ضَيْقِ مَوْرِدِهِ إِسْتِنَانِ الْأَخْلَفِ
وَلَقَدْ وَرَدَتِ الْمَاءَ فَوْقَ جَمَامِهِ مِثْلُ الْفَرِيقَةِ صُقِّيتَ لِلْمُدْنَفِ
فَصَدَرَتْ عَنْهُ ظَامِئاً وَتَرَكْتُهُ يَهْتَزُّ غَلْفَقُهُ كَأَنَّ لَمْ يُكْشَفِ

يقدم أبو كبير الهذلي للمتلقى صورة عن الذئب تعكس حالته النفسية، وهي صورة مختلفة ولها خصوصية عند الشاعر. فيصور لنا شيخوخته، وما لحقه من الضعف والهوان، ويصور لنا ذكرياته الأليمة، ويتحسر على ما مضى من أيام شبابه. ودائما ما كان يبكي على هذه الأيام التي ذهبت أدراج الرياح ولن تعود، وبسبب هذه الحالة النفسية التي كان يمر بها أبو كبير انعكس ذلك على صورة الذئب في شعره. فهو يصور لنا حكاية دارت بينه وبين أخيه، والتي كانت أحد أسباب حزنه وضعفه، فقد تركه مدة من الزمن عند نخلة، وعندما رجع إليه وجد الموت قد سبقه إليه، "ثم تبدى ملامح صورة الذئب عند ذكر الماء، ويبدو أن التلازم بين صورة الماء والذئب دائم الحضور في النص الشعري الجاهلي؛ لأن الماء رمز للحياة، وأبو كبير يرد هذا الماء الذي لم يرده أحد من البشر منذ شهور الربيع والصيف" (38). كانت الذئاب العواسل ترد ذلك الماء مرات عديدة، وكان مرورها سريعا، ترتوي من الماء ثم تنطلق، ولم تقم في ذلك المكان بالرغم من وجود الماء. وكأنه يصور حاله بأن أسباب الحياة متوفرة لي كتوفر الماء للحيوانات الضارية والطيور، إلا أنني لن أستفيد من أسباب الحياة بسبب من حل بي من الضعف.

ترد هذه الذئاب الماء ليلا، وكذلك أبو كبير كان يرد هذا الماء ليلا كالذئاب، ويدل هذا على بقايا من قوته وشجاعته لورود الماء ليلا. وكأنه يواسي نفسه مخبرا من حواله: إنني ما زلت شجاعا وفارسا كالذئاب، حتى ولو أدركني الكبر وغزى رأسي الشيب، ويصف نفسه بالمرشد لغيره من أبناء جنسه، كما أن الذئب قائدا لمجموعة الذئاب مرشدا لها. وهو يشبه سرعة الذئاب أثناء ورودها الماء بـ "كَفِدَاحِ نَبِلٍ مُحَبَّرٍ"، وهو "الطفيل الغنوي"؛ شاعر جاهلي من فحول الشعراء من بني قيس بن عيلان، وسمي بالمُحَبَّرَ لتحسينه صنعة الشعر، وقيل: إنه من أوصاف العرب للخيال (39). ويقول أبو كبير: إن هذه الذئاب تعوي ليلا من الجوع، ولكنها تستبشر بوجود الماء، فأينما وجد الماء وجدت الحياة، وهومتفائل بالركب القادم من جهة اليمن، فهي إما أن تجد الطعام حول الماء، وإما أن تجد طعاما مع ركب اليمن. يشبه الماء الوارد عليه بالفريقة الصافية: "وَلَقَدْ وَرَدَتِ الْمَاءَ فَوْقَ جِمَامِهِ"، فإذا ارتوى أبو كبير غادر ذلك الماء تاركا ما فوقه من الطحالب والأعواد تهتز بعد الشرب "يَهْتَزُّ غَلْفَقُهُ كَأَن لَّمْ يُكْشَفِ"، ويغادر مكانه تاركا الذئب أيضا يتلوى من الجوع مطأطئا رأسه كم أدركه الحر والعطش الشديد في الصحراء فهلك ومات (بدوي، 2003، 2374).

2.4 صورة الذئب عند تأبط شرا (ت 16هـ)

ينشد ثابت بن جابر، المشهور بـ "تأبط شرا" على البحر الطويل، فيقول (شاعر، 2009، 343) (بدوي، 2003، 2361):

وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفَرٍ قَطَعْتُهُ بِهِ الذئبُ يَعْوِي كَالْخَلِيعِ الْمُعِيلِ
فَقُلْتُ لَهُ لِمَا عَوَى: إِنَّ ثَابِتًا قَلِيلُ الْغَنَى إِنْ كُنْتَ لِمَا تَمُولُ
كَلَانَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئًا أَفَاتُهُ وَمَنْ يَحْرِثُ حَرْثِي وَحَرْثُكَ يَهْزُلُ

الذئب عند تأبط شرا في هذا الموضع كجوف العير؛ بمعنى أنه قحل لا يستفاد منه، ويقال: إن بنيه خرجوا في سفر فأصابهم صاعقة من السماء فماتوا جميعا، فكفر بالله. وقال: لا أعبد ربا حرقَ بَنِي، وعبد الأصنام، فهو يقول للذئب: أنت لا غنى لك عني، وأنا لا غنى لي عنك، فأنت تعيش في الطبيعة وحدك، وأنا أعيش وحدي، ولكنني عندما أنزل الوديان القفار يكون صوت عوائك الذي يخيف الناس مؤنسا لي. ثم يقول: ومن يحرث حَرْثِي؟! أي من يطلب مني ومنك شيئا لا ينال مراده، فتأبط شرا هنا يشبه حاله بحال الذئب، وأنه مؤنس له في الصحارى والقفار. وهذه الدلالات نستنتجها من حال الشاعر نفسه، فعندما يتحدث عن نفسه فإنه يبحث عما يناسب حاله. إذ "إن الطريقة الوحيدة للتعبير عن العاطفة في العمل الفني تكمن في إيجاد معادل موضوعي؛ بمعنى مجموعة من الأشياء،

أو وضعية، أو سلسلة من أحداث ستكون بمثابة صيغة، أو قاعدة لتلك العاطفة المحددة، حتى إنه إذا ما أعطيت تلك العناصر الخارجية التي يجب أن تؤدي إلى تجربة حسية، ثم استحضار تلك العاطفة مباشرة" (بوليك، 2001، 87).

3.4 صورة الذئب عند الشماخ الذبياني (ت 22هـ) وعند بشر بن أبي خازم (ت 32 ق.هـ) (الهادي، 2008، 356) (بدوي، 2003، 2350).

يذكر الشماخ الذبياني الذئب بأحد أسمائه وهو "السرحان" فينشد على البحر الوافر:

تَرَى السَّرْحَانَ مُفْتَرِشاً يَدِيهِ كَأَنَّ بَيَاضَ لَبَّتِهِ صَدِيعُ

وينشد بشر بن أبي خازم على البحر الطويل في قصيدة مطلعها: "لَيْلَى عَلَى شَحْطِ الْمَزَارِ تَذَكَّرُ" (طراد، 1994، 85) (بدوي، 2003، 2350، 2351):

وَبَاكَرُهُ عِنْدَ الشُّرُوقِ مُكَلِّبُ أَزَلُّ كَسِرْحَانِ الْقَصِيمَةِ أَغْبَرُ

أَبُو صَبِيَّةٍ شُعْبٌ تُطِيفُ بِشَخْصِهِ كَوَالِحُ أَمْثَالِ الْيَعَاسِيْبِ ضُمَرُ

وسبب جمعنا بين الشعاعين مع اختلاف زمانهما؛ أن الشعاعين جاءا باسم "سرحان" وهو اسم من أسماء الذئب. وقالت العرب: سمي الذئب "سرحان"، لكثرة ذهابه ومجيئه، والشاعران يُشَبِّهَانِ هُنَا الشَّخْصَ الْمَهْجُوَّ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ بأنه يتوافق مع الذئب في كثير من الصفات؛ كالمكر، والافتراس، والظلم، وغير ذلك من صفات الشر، وإنما جاء التشبيه بالذئب؛ لإظهار صورة المقصود، وصورة الذئب في العادة لا تكون مقصودة لذاتها، بل هي رمزية ودلالة يقف خلفها الشاعر.

4.4 صورة الذئب عند كعب زهير بن أبي سلمى (ت 26هـ)

كعب زهير بن أبي سلمى شاعر مخضرم؛ عاش بين الجاهلية والإسلام، يصور لنا صورة فريدة للذئب فينشد على البسيط قائلاً (فاعور، 1987، 91):

يَقُولُ حَيَّايَ مِنْ عَوْفٍ وَمِنْ جُشَمٍ يَا كَعْبُ وَيَحْكُ هَلَّا تَشْتَرِي غَنَمًا

مَا لِي مِنْهَا إِذَا مَا أَزَمْتُ وَمِنْ أُوَيْسٍ إِذَا مَا أَنْفَهُ رَدَمًا

أَخْشَى عَلَيْهَا كَسُوبًا غَيْرَ مُدْخِرٍ عَارِي الْأَشَاجِعِ لَا يُشْوِي إِذَا ضَغَمًا

يرسم لنا كعب بن زهير في هذا المشهد صورة الخائف المتوجس، فقومه ينصحونه أن يشتري أغناما يقتات منها، فالأغنام ومنها الأغنام من أنفس أموال العربي، ولا غنى لأحد في ذلك الزمان عنها، فهو يأكل من لبنها، ومن لحمها، ويستفيد من مواليدها. ولكن كعبا يرفض هذه النصيحة من قومه؛ فهو يخاف م افتراس الذئب لها، وأن لا يبق منها شيئاً، فيقول (فاعور، 1987، 91، 92):

إِذَا تَلَوَّى بِلَحْمِ الشَاةِ تَبَرَّهَا أَشْلَاءُ بُرْدٍ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا وَضَمًا

إِنْ يَغْدُ فِي شَيْعَةٍ لَمْ يَلْنِهِ نَهْرٌ وَإِنْ غَدَا وَاحِدًا لَا يَنْقِي الظَّلَمَا

وَإِنْ أَطَافَ وَلَمْ يَظْفَرْ بِضَائِنَةٍ فِي لَيْلَةٍ سَاوَرَ الْأَقْوَامَ وَالنَّعْمَا

وَإِنْ أَغَارَ وَلَمْ يَحِلَّ بِطَائِلَةٍ فِي ظُلْمَةٍ ابْنِ جَمِيرٍ سَاوَرَ الْفُطُمَا

إِذَا لَا تَزَالُ فَرِيْسٌ أَوْ مُعَبَّيَّةٌ صَيْدَاءُ تَنْشُجُ مِنْ دُونِ الدِّمَاغِ دَمًا

يصف الشاعر في الأبيات السابقة خوفه عليه، فيقول: إن هذه الأغنام ضعيفة، ولا تُرَدُّ عني عدوا، ولا ترفع عني مصيبة أو بلية تنزل بي، حتى إنها لا تستطيع الدفاع عن نفسها، وأنا من سيخاف عليها من الذئب، واختار الذئب؛ لأن الذئب من عادته الافتراس. والافتراس: هو الصيد بقصد التخريب والإفساد، بمعنى أن هذا الذئب سيفترس منها

واحدة للأكل، وبقية الأغنام سيقتلها بوحشية، فلا منفعة لي بشراء هذه الأغنام. وإن هذا الذئب إذا لم يظفر بالأغنام الكبيرة لا بد وأن يظفر بأولادها من السخال والطلاء الصغيرة المفطومة عن حليب أمها منذ فترة يسيرة، فيتركها بعد أن يدق أعناقها نازفة حتى تموت. وهنا نرى كعبا يخاف من المستقبل، فلقد كان مهذور الدم، فجعل الذئب في شعره ليدل على الخوف والقلق والاضطراب (بدوي، 2002، 202). ولقد "لازمت صورة الذئب في الأدب العربي حالة من الخوف والفرع" (عايش، 2001، 5). وصورة الخوف والفرع لم تكن عند كل الشعراء؛ لأن كان الشاعر الجاهلي يذكر الذئب وصولاته وجولاته معه ليدل على شجاعته، ولا شك أن هذه الصورة لدى كعب إنما تصور الصراع بين الخير والشر، فالذئب دلالة الظلم، والشر، والطغيان، والأغنام دلالة الإنسان الضعيف، كما أنها رمزية الإيمان، والدالة على الرحمة (بدوي، 2002، 202).

5.4 صورة الذئب عند حميد بن ثور الهلالي (ت 30هـ)

حميد بن ثور شاعر مخضرم عاش بين الجاهلية والإسلام، له قصيدة في وصف الذئب، يصور حميد بن ثور الذئب وهو يعدو على بهائم امرأة مسكينة في الصحراء، فيقول في قصيدة طويلة على البحر الطويل، منها (البيطار، 2000، 314) (بدوي، 2002، 224-227):

تَرَى رَبَّةَ الْهَمِّ الْفِرَارَ عَشِيَّةً إِذَا مَا عَدَا فِي بَهْمِهَا وَهَوَ ضَائِعُ
فَقَامَتْ تَعْسُ سَاعَةً مَا تُطِيقُهَا مِنَ الدَّهْرِ نَامَتِهَا الْكِلَابُ الظَّوَالِعُ
رَأَتْهُ فَشَكَتْ وَهَوَ أَطْحَلُ مَا ئِلُ إِلَى الْأَرْضِ مَثْنِي إِلَيْهِ الْأَكَارِعُ
طَوَى الْبَطْنِ إِلَّا مِنْ مَصِيرٍ يَبْلُهُ دَمُ الْجَوْفِ أَوْ سُورُ مِنَ الْحَوْضِ نَاقِعُ

يصور لنا حميد بن ثور الهلالي قصة يسردها علينا في ذئب عدا على بهائم تلك المرأة المسكينة في الصحراء، هذه المرأة ليس لها بعد الله إلا هذه البهائم تشرب من لبنها، وتأكّل من لحمها، هي وصبياتها، فهي حريصة جدا على هذه البهائم. تقوم كل ليلة تتفقد أغنامها في ساعات متأخرة من الليل، في وقت أحوج ما يكون فيها الإنسان إلى النوم، فكما تتفقد أبناءها الصغار تتفقد بهائمها، بل وتؤثر القيام لتفقد هذه الأغنام التي هي مصدر قوتها وقوت أولادها، فإذا اطمأنت على أغنامها عادت إلى النوم من جديد، وفي ليلة رأت الذئب بين الأغنام، لكنها كانت متعبة والنعاس متمكن منها، فظنته كلبا من كلابها التي تحرس الأغنام، فقد كان لونه "أطحل"؛ أي لونه رماديّ يميل إلى لون الأرض، وكان يتسلل خفية ليفتك بالأغنام. وقول الشاعر: "فشكت"، يدل على أنها فعلا في بداية الأمر ظنته كلبا من الكلاب، وهذا الذئب المتسلل كان جائعا جدا، طاوي البطن من الجوع، أمعاؤه خاوية من الطعام، ولا تحمل في داخلها إلا الدّم أو قليلا من ماء شربه من الحوض، ثم يسهب الشاعر في وصف الذئب، ويذكر مشيته المضطربة بسبب الجوع، ويذكر تعبته وهزاله، ويذكر مع ضعفه قوته وشجاعته، إذ إنه أراد أن يفترس أغناما تحرسها الكلاب وتحرسها صاحبها جيدا، وهو يصور الذئب ذكيا، فالذئب إذا أراد الافتراس ولم يأمن على نفسه. يترك الفريسة وينتقل إلى فريسة أخرى في مكان أكثر أمانا، فيقول (البيطار، 2000، 320):

إِذَا خَافَ جَوْرًا مِنْ عَدَوَرَمَتْ بِهِ مَخَالِبُهُ وَالْجَانِبُ الْمُتَوَاسِعُ
وَإِنْ بَاتَ وَحْشًا لَيْلَةً لَمْ يَضِقْ بِهَا ذِرَاعًا وَلَمْ يُصْبِحْ لَهَا وَهَوَ خَاضِعُ
وَيَسْرِي لِسَاعَاتٍ مِنَ اللَّيْلِ قَرَّةً يَهَابُ السُّرَى فِيهَا الْمَخَاضُ النَّوْازِعُ

يصور الشاعر هنا الذئب حريصا، يتحين فرصة ينقض على أغنام هذه المرأة، لكن هذه المرأة مع ضعفها، وقلة حيلتها، إلا أنها بخيلة جدا، حتى الذئب لا يستطيع أن يأخذ لقمة منها، ولا يمكن أن تغفل عن أغنامها، وأن يبطش الذئب بأحد أبنائها أهون عليها من أن يبطش بأغنامها. وبسبب بخلها الشديد زاد حرص الذئب وفجعها بأغنامها،

فنامت تلك الليلة وهي طاوية البطن من الجوع، بينما أكل الذئب وشبع، وبعد أن شبع فإنه ينام حذراً؛ ينام نومة اليقظان، فينام مغلقاً عيناً والأخرى مفتوحة من شدة حذره، فيقول (البيطار، 2000، 325، 326):

إِذَا نَالَ مِنْ بَهْمِ الْبَحِيلَةِ غِرَّةً عَلَى غَفْلَةٍ مِمَّا يَرَى وَهُوَ طَالِعٌ
تَلَوُّمٌ وَلَوْ كَانَ ابْنُهَا فَرِحَتْ بِهِ إِذَا هَبَّ أَرْوَاحُ الشِّتَاءِ الزَّعَازِعُ
وَنَمَتْ كَنُومِ الْقَهْدِ عَنْ ذِي حَفِيظَةٍ أَكَلَتْ طَعَاماً دُونَهُ وَهُوَ جَائِعٌ
يَنَامُ بِإِحْدَى مُقْلَتَيْهِ وَيَتَّقِي بِأُخْرَى الْأَعَادِي فَهُوَ يَقْظَانُ هَاجِعُ

وما زال الشعراء يوظفون الذئب في أشعارهم، وقد لاقى هذا الرمز رواجاً في الشعر الحديث كما هو حال القديم، ومن ذلك قول راشد عيسى (عيسى، 1997، 47):

تبخرت حد التلاشي

وحد البراءة مني

فهاجمني نمس شكي

وطاف على سدة الليل والليل سعل مثل بعير

عليل، وأقعي على صخرة في ضواحي يقيني

ليفهمني ذئب قلبي ويأوي إلى جحره راضياً

يأنس راشد عيسى بالذئب، ويعطيه "بعداً إنسانياً أصبح وسيلة حتمية لاكتناه عالمه، وإنتاج لغة خاصة، تعجز اللغة العادية عن إدراكه أو توصيله، إنها لغة خاصة تعجز اللغة العادية عن إدراكه" (الضمور، 2018، 37) راشد عيسى كعادته يحاول دائماً الانعتاق من القيود والأغلال. ويسعى للتخلص من حالتي الضياع والتشتت.

5. الخاتمة والنتائج

وبعد ما قدمه الباحث من عرض مستفيض لصورة الذئب عند الشاعر الجاهلي، فإنه يخلص إلى النتائج التالية:

1. لم تكن صورة الذئب دائماً معبرة عن الشر، فمنها ما كان هجاء، ومنها ما كان للدلالة على أن الذئب أنيسه، ومنهم من ذكر الذئب مثلاً للوفاء. وليس المقصود الوفاء المطلق، بل إن الذئب وفيّ لأولاده ولزوجته، ولكنه مكر، ومتوحش، ومفترس، على غيرهم.

2. إن الغدر، والخيانة، والحيلة، والكذب، والعداوة، والمكر، صفات مشتركة بين الذئب وبعض البشر، إذ إن الشاعر يصور المَهْجُوَّ بصورة الذئب لما يراه منه من مكر، وعداء، وظلم.

3. إن علاقة الإنسان بالحيوان علاقة أزلية أبدية، منذ القدم، فالحيوان كان وما زال يعني الكثير للناس، ومنهم الأديب بشكل عام والشاعر على وجه الخصوص. فكان الجاهلي لا يسافر إلا على راحلته، فكانت الناقة مثلاً ذات خصوصية في السفر فهي صاحبة، والرفيقة، ويأكل من لبنها، ويركبها في الصحراء، ويتسلى معها في مخاطبته إياها.

4. إن الشاعر الجاهلي ما ذكر الذئب إلا ليمثل حالة نفسية معينة يعيشها، وليشير للشبه بين الذئب ومن يقصده الشاعر بكلامه، ليعبر صورة فنية جميلة بتشبيهاته التي يختزلها من خلال الواقع من حوله.

5. إن الشاعر بشكل عام، والشاعر الجاهلي بشكل خاص، كان يستمد شعره من البيئة المحيطة من حوله، فالبيئة هي ملهمة الشعراء، فقديمًا كانت علاقة الإنسان بالحيوان كبيرة جداً، أكثر مما عليه الآن؛ لبساطة عيشهم، واعتمادهم الكبير على هذه الحيوانات في شتى مجالات حياتهم، وهذا كان سبباً رئيساً لذكر الحيوانات في أشعارهم.

6. المصادر والمراجع

1. إسماعيل، عناد غزوان، (1979م)، قراءة عصرية في أدب الذئب عند العرب، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، العدد 1.
2. الأصفيهاني، أبي الفرج علي بن الحسين بن محمد المرواني الأموي، (2000م)، الأغاني لأبي فرج الأصفيهاني، نسب الطفيل الغنوي وأخباره، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
3. بدوي، صابر إسماعيل محمد، (2022م)، "الدلالة الرمزية لصورة الذئب لدى شعراء صدر الإسلام وبني أمية- جدلية الثبات والتغير في القيم الحضارية: دراسة سيميائية موازنة"، مجلة كلية الآداب بقنا، العدد 56.
4. بدوي، صابر إسماعيل، (2003م)، "الدلالة الرمزية لصورة الذئب في الشعر الجاهلي- دراسة سيميائية"، مصر، منشورات كلية الآداب- جامعة المنية، العدد 1.
5. بوليك، كريس، (1980م)، النقد والنظرية الأدبية، ترجمة: خميسي بوغرة، قسنطينة: منشورات مخبر الترجمة والأدب واللسانيات، جامعة منتوري.
6. البيطار، محمد شفيق، (2000م)، ديوان حميد بن ثور الهلالي، جمع وتحقيق، دار الكتب الوطنية، بالتعاون مع هيئة أبو ظبي للثقافة والفنون والتراث، أبو ظبي.
7. الثعالبي، أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، (1961م)، التمثيل والمحاضرة، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية بمصر، القاهرة.
8. الدغيري، إبراهيم بن علي، (2014م)، "أنماط العلاقة بين الشعراء والذئب من العصر الجاهلي حتى سنة 450هـ"، مجلة العلوم العربية والإنسانية، العدد 1.
9. الذبياني، النابغة، (1985م)، ديوان النابغة الذبياني، شرح وتحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت.
10. الزين، أحمد، أبو الوفا، محمود، (1965م)، ديوان الهذليين، القسم الثاني، المكتبة العربية للتراث- الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.
11. شاكر، علي ذو الغفار (2009م)، ديوان تأبط شرا وأخباره، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
12. شكر، شاكر هادي، (1985م)، الحيوان في الأدب العربي، مكتبة النهضة العربية عالم الكتب، بيروت.
13. صادر، كارن (1985م)، ديوان المرقشين: المرقش الأكبر عمرو بن سعد، والمرقش الأصغر عمرو بن حرملة، (ط 1)، دار صادر، بيروت.
14. صليحة، نهاد، (1987م)، أمسيات مسرحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
15. الضمور، عماد عبد الوهاب، المجالي، حسن مطلب، (2018م)، صورة الذئب في الشعر الأردني المعاصر، مجلة رؤى فكرية، مخبر الدراسات اللغوية، جامعة سوق أهراس، العدد 8.
16. طراد، مجيد، (1994م)، ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي محققا، ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت.
17. عايش، إبراهيم، (2001م)، "رمز الذئب في نماذج من الشعر العربي القديم"، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 1.
18. العسكري، أبي هلال، (1964م)، جبهة الأمثال، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة.
19. العكبري، أبي البقاء عبد الله الحسين، (1403هـ)، شرح لامية العرب، تحقيق: محمد خير الحلواني، (ط 1)، دار الفكر، بيروت.
20. علاوة، ناصري، (2018م)، "صورة الذئب في المتخيل الشعري العربي القديم"، مجلة التنوير، العدد 8.
21. العنزي، سعاد عبد الله، (2023م)، قراءة كافوكية لرواية (طعم الذئب) لعبد الله البصيص، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد 20، العدد 1.
22. عيسى، راشد، (1997م)، وعليه أوقع، (ط 1)، وزارة الثقافة، عمان.
23. فاعور، علي، (1987م)، ديوان كعب بن زهير، (ط 1)، دار الكتب العلمي، بيروت.
24. أبو الفضل، إبراهيم محمد، (2008م)، ديوان امرئ القيس حندج بن حجر الكندي، دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة.
25. القيسي، نوري، (1970م)، الطبعة في الشعر الجاهلي، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت.

26. مبرك، مراد عبد الرحمن، (2019م)، "رؤية العالم وثنائية التضاد لصورة الذئب عند الشنفرى من منظور البنيوية التكوينية"، مجلة الباحث، جامعة قطر.
27. المرازيق، أحمد جمال، (2022م)، "التحول النسقي في قصيدة "وأطلس عسال" للفرزدق "قراءة ثقافية تحليلية"، الكويت، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد 158.
28. الملاكوي، نائر محمد إبراهيم، (2022م)، الأدب السياسي في حكايات الأدب العباسي حكاية النمر والثعلب وحكاية الأسد والغواص أنموذجا دراسة سرية تحليلية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة اليرموك، كلية الدراسات العليا، عمادة البحث العلمي، الأردن.
29. ابن مایابا، مصطفى محمد تقي الله، (2020م)، "التفسير المحايد للنص الأدبي بين النظرية والتطبيق: دراسة تحليلية"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، الكويت، العدد 150.
30. النيسابوري، أبي منصور عبد الملك الثعالبي، (1961م)، يتيمة الدهر، تحقيق: مفيد قمحية، ج 4، دار الكتب العالمية، بيروت.
31. الهادي، صلاح الدين، (2008م)، ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، دار المعارف المصرية، القاهرة.
32. الوطواط، أبي إسحاق برهان الدين محمد إبراهيم بن يحيى، (1981م)، مباحج الفكر ومناهج العبر- الوصف والتشبيه، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت.
33. اليحيى، هند، (2022م)، سيميائية القناع في رواية (وجه النائم) لعبد الله ثابت، مجلة اتحاد الجامعات العربية للأدب، المجلد 19، العدد 1.
34. يعقوب، إميل بديع، (2008م)، ديوان الشنفرى عمرو بن مالك، (ط 1)، دار الكتاب العربي، بيروت.
- مواقع الانترنت:
1. محاضرات مشاهدة للدكتور إبراهيم أحمد محمد حجاج: <https://youtu.be/hNrJUa1SVkQ> شوهدت بتاريخ: 2024/4/26م، الساعة 7 مساء.